

بين مركزية الأنا الغربية وميلاد الأصوليات

نقد غارودي للذاتية الغربية

نصر الدين بن سراي [*]

أخذ الاهتمام بمركزية الغرب في العصر الاستعماري خلال القرنين التاسع عشر والعشرين مساحة وافية من الجدل في الوسطين الفكري والأكاديمي.

هذه الورقة تناقش جانباً مهماً من القضية، إذ يتناول الباحث الجزائري نصر الدين بن سراي الكيفية التي قارب فيها الفيلسوف الفرنسي الراحل روجيه غارودي قضية الأصولية الغربية ومظاهرها وخطابها حيال الآخر العربي والإسلامي.

المحرر

من أهم المظاهر التي تعد بارزة في الحضارة الغربية الحديثة بروز أنواع شتى من الإيديولوجيات والأفكار التي تندرج في سلّم التطرف الشديد، وهو ما اصطلح على تسميته بالأصوليات. وهذا المصطلح الذي يعد في المخيال الثقافي والاجتماعي والسياسي العربي جد حديث، لكن تكاد تكون تلك التصورات من أهم الأفكار التي كونت الغرب الحادث، وفي هذه المقاربة حاول روجيه غارودي الكشف عن تلك الأفكار التي كونت الغرب الطارئ كما يسميه، وكانت تلك الأفكار التي يستهجنها اليوم ويسعى لمحاربتها، هي البنية الأساسية التي أسهمت في تشكله وبلورة حضارته، إذ نرى تمظهراتها في الجوانب العالمية اليوم، في السياسة والاقتصاد والإعلام وغيرها من التجليات التي تبرهن على حقيقة ألا وهي أن الغرب لازالت تحكمه إيديولوجيات أصولية ينطق منها وتحدد تصوره ورؤيته إلى العالم، وهي قصة الأفكار التي لازالت تسكن في البنى الأفكار المضمرة للغرب. يعد روجيه جارودي من أهم الفلاسفة الفرنسيين، بل في الغرب الذي، وجه سهام نقده للحضارة

*- باحث وأكاديمي - الجزائر.

الغربية، التي تحتوي جوانب لا إنسانية في حضارتها، وإن ادعت الإنسانية. نحاول في هذه الورقة بيان بعض أوجه الأفكار التي شكلت الغرب، انطلاقاً من نقطة التمرکز على نفسه، وتحيزه لكل ما هو غربي، إلى زمن تشكل الأصوليات التي تحكم الغربي إلى اليوم.

يحاول جاودي استنطاق اللحظات الأولى لتكون هذه الأنا بداية مع دكتور فاوست، كما دونه كرسوفر مارلو، وانتهاء بالنزعات العرقية والأصولية المعاصرة النازية والستالينية. وكيف ساعدت هذه التصورات في صياغة العالم المعاصر.

- ليصل جاودي في النهاية إلى نتيجة خطيرة جداً مفادها أن الأصوليات جميعها في العالم اليوم هي نتجية أو رد فعل على الأصولية الغربية. مما يضع الفكر الغربي أمام إخراجات يتعسر على صاحب لب سليم أن يتفلسف منها، كما نجد قليلاً من الكتاب ومفكري الغرب يعرضون تلك الحقائق بوجه ناصع بأدنى شك أوريب.

- وسيكون الإشكال الرئيس الذي يسعى جاودي الإجابة عنه ههنا: كيف شكلت نقطة التمرکز الغربي حول ذاته إلى ميلاد الأصوليات بشتى اختلافاتها وإيديولوجيتها؟ وما أهم الحملات التي شكلت الغرب الطارئ؟

أولاً/ التمرکز الغربي حول الذات:

تعد نزعة التمرکز حول الذات^[1]، إحدى السمات البارزة؛ التي شكلت الطابع العام لتاريخ الفكر الغربي، وفلسفته ورؤيته إلى العالم، هذه الإيدولوجيا التي مكنت الذات الغربية لتجعلها سيده العالم؛ ولعل النواة الأولى لهذه الفكرة، كانت مع أفكار الحدائثة الأولى وهي مسلمة كريستوفر وذلك في «الفرض الأساسي ل: مارلوا، في كتابه فاوست، الذي أعلن مسبقاً، وفاة الإله (أيها الإنسان، عن طريق عقلك القوي، تصبح إلهاً، المالك

[1]- «متمركز حول الذات- متمركز الأنا ego centric الشخص الذي تتحكم في سلوكه اهتماماته، ويتسم بعدم الحساسية لحاجات الآخرين وتعبيراتهم واستجاباتهم، وهو أكثر شبيوعاً في السلوك اللغوي عند الأطفال» فؤاد أبوخطب، محمد سف الدين فهمي، معجم علم النفس والتربية، القاهرة مصر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ج1، 1984، ص 50 ويطلق عليها أيضاً أنوية Egocenterisme وتعني: أ - نزوعاً إلى رد كل شيء إلى الذات. ب- بمعنى مختلف أطلق ج. بياجيه هذه المفردة على السمة النفسية للطفل، السمة التي تكمن في أنه لا يعاني الحاجة إلى إيصال فكرته للآخر، ولا يعاني التقيد بفكرة الآخرين. ج- في الأخلاق، حب للذات حصري أو مفرط، سمة ذلك الذي يستلحق مصلحة الغير بمصلحته الذاتية ويحكم من هذه الزاوية على كل الأشياء. د- نظرية تجعل من المصلحة الفردية المبدأ التفسيري للأفكار الأخلاقية والمبدأ القائد للسلوك» أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، بيروت لبنان، منشورات عويدات تعريب. خليل أحمد خليل، ط2، 2001، ص 55، ص 329، 330

والسيد لكل العناصر»^[1]، وهي سيادة الإنسان عن طريق استخدام العقل، وتكريس لفكرة مركزية الإنسان.

فإذا تناولنا كلمة التمركز التي اشتقت من كلمة المركز، والتي توحى بمعنى المرجع، نجد أنه جاء معناها في معجم لسان العرب بما يأتي: «والمَرَكَزُ: مَنَابِتُ الأَسنان. وَمَرَكَزُ الجُنْدِ: المَوْضِعُ الَّذِي أمروا أَنْ يَلْزَمُوهُ وَأَمروا أَنْ لَا يَبْرَحُوهُ. وَمَرَكَزُ الرَّجُلِ: موضِعُهُ. يُقَالُ: أَخَلَّ فلانٌ بِمَرَكَزِهِ. وارْتَكَزْتُ عَلَى القَوْسِ إِذا وَضَعْتُ سَيْتِهَا بالأَرْضِ ثُمَّ اعْتَمَدْتُ عَلَيْهَا. وَمَرَكَزُ الدَّائِرَةِ: وَسَطُهَا»^[2]، فإذا كانت كلمة مركز توحى بمعنى المصدر والمرجع الذي يعاد إليه، فإن المركزية الذات الغربية، هي الوقود الفكري التي تستند إليه في تأسيس ذاتها، التي من خلالها تشعر بالمغايرة تجاه الآخرين، والمعيار الذي تنطلق منه لتحاكم سائر الرؤى والثقافات في العالم، وعليه يمكن أن نقول إن مصطلح التمركز حول الذات يقصد به "ولادة المرء ضمن ثقافة معينة، بشكل عام إن هذه الثقافة تضعه على منصة يطل منها، بدرجات متفاوتة من عدم الإكتراث أو العداوة، على الثقافات الغربية الأخرى، ولذا غلب أن يكون مراقبو الثقافات الغربية منحازين بالمعنى البسيط الذي يفضلون فيه ثقافتهم على كل الثقافات الموجودة الأخرى، وينظرون فيه إلى الغريب باعتباره الشكل المشوه المنحرف عن المؤلف. وكانت السداجة التي تدغدغ الذات وتميز التقسيم الأرسطي لسكان العالم إلى إغريق وبرابرة، أو إلى احرار بالطبيعة، وعبيد بالطبيعة، هي النمط المعتاد الذي حشر الناس فيه ما لاحظوه من فروق بين البشر»^[3].

وعليه يمكن عدّ فكرة التمركز حول الذات أو المركزية الغربية بأنها عبارة تلك «الممارسات الواعية أو الغير الواعية، التي تركز على فرض الحضارة والمصالح الغربية عموماً في جميع مجالات الحياة على حساب باقي الثقافات والحضارات والشعوب، وبكل الوسائل المشروعة وغير مشروعة»^[4].

فالثقافة الغربية وطابعها الأنوي تجعل من الأنا الغربية تحتل مركزية العالم، وماعدا ذلك يمكن إعتبره هامشاً، أو لاإنساني، أو لم يدخل بعد في طور الإنسانية والتمدن أو التحضر، وهذا ما

[1]- روجيه جارودي، القبور، الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، ترجمة عزة صبحي، دار الشروق، القاهرة مصر، ط3، 2002، ص95.

[2]- ابن منظور الأنصاري الرويفي، لسان العرب، بيروت لبنان، دار صادر، ط3، 1414هـ، ج5، ص355.

[3]- كاثرين جورج، الغرب المتمدن ينظر إلى إفريقيا البدائية، ضمن كتاب، أشلي مونتغيو، البدائية، ترجمة محمد عصفور، الكويت، عالم المعرفة، عدد53، 1982، ص201، هذه الرؤية إلى الآخر بأنهم متوحشون، وأقل شأناً من الغرب كانت قد كرس من عهد اليونانيين، هيرودوت شيخ الجغرافيين وكذا ديودورس. المرجع نفسه، ص203.

[4]- عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان، المملكة العربية السعودية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العدالة الجنائية، أطروحة ماجستير، 2009، مخطوط، ص21.

يبدو بشكل جلي، في مراحل التحقيب التي يعتمد عليها علماء الأنثروبولوجيا في تحقيب الشعوب غير الغربية، إلى حقبة ما وراء التاريخ أوقبله، حيث إن أسلوب تعدد الثقافات لم يكن أسلوباً معترفاً به إلى حقبة ليس ببعدة في تاريخ الثقافي للعالم الإنساني وهذا ما يوضحه كلود ليفي سترواس حين يقول: «يبدو أن تنوع الثقافات لم يظهر للناس إلا نادراً كما هو على حقيقته، باعتباره ظاهرة طبيعية... وإنما رأوا فيه نوعاً من الغرابة والفضيحة ويتمثل في الرفض الكامل للأشكال الثقافية، الأخلاقية والدينية والاجتماعية والجمالية، البعيدة كل البعد عن القيم التي نعتنقها... فتعابير مثل عادات المتوحشين وذلك ليس من عندياتنا... تختلط مع كل ما لا يشترك مع الثقافة اليونانية تحت اسم البربري»^[5] وبذلك فالثقافة الغربية تعطي لنفسها حق مساءلة الثقافات جميعها، واعتبار المعيار الوحيد لا بد أن يكون النموذج الغربي، وكل ثقافة مخالفة لهذا النموذج يمكن ببساطة أن يطلق عليها بأنها ثقافة إيحائية ما قبلية ليست علمية ولم تدخل بعد في طور التأنس بعد.

وعليه فالثقافة الأوروبية التي تنطلق من نزعة التمرکز الغربية، قد أقامت صروحها على فكرة النظرية العرقية القائلة، بالتفوق والقدرة للجنس الغربي، ولا سيما نظرية الكيوف الطبيعية، التي قدمها لنا أرسطو في كتابه السياسة حيث يقول: «يستطيع المرء أن يتخذ فكرة من هذا بأن يلقي النظرة إلى أشهر مدائن الإغريق، وإلى الأمم المتخلفة التي تتقاسم الأرض، الشعوب التي تقطن الأقطار الباردة حتى في أوربا هم على العموم ملوهم الشجاعة لكنهم على التحقيق منحطون في الذكاء وفي الصناعة، من أجل ذلك هم يحتفظون بحريتهم لكنهم من الجهة السياسية غير قابلين لنظام، ولم يستطيعوا أن يفتحوا الأقطار المجاورة، وفي آسيا الأمر ضد ذلك شعوبها أشد ذكاء وقابلية للفنون، ولكن يعوزهم القلب ويقتون تحت نير استعباد مؤبد، أما العنصر الإغريقي الذي هو بحكم الوضع الجغرافي وسط فإنه يجمع بين الفريقين، فيه الذكاء والشجاعة معا»^[6].

هذه النظرية حقيقة يمكن عدّها ناظماً لفكرة المركزية العرقية الغربية، التي تجمع كمالات الصفات في الجنس الأوروبي، وتصرفه عن غيره، بوصفهم أفراداً تنقصهم تلك صفات التي لم تتحقق، ولم تجتمع لأي جنس إلا في الجنس الغربي، وبالتالي هم فقط من لهم أهلية الحكم والسيطرة في الجوانب الحياتية كلها، وما عداهم أقاليم تابعة لهم لأنهم عجزوا على التوسع في البلدان المجاورة، فالمعيار إذن هو عرقي بامتياز، وامتلاك صفات القوة التي تمكنهم من حيازة ما يريدون والسيطرة على الآخرين وفي هذا الصدد يقول جارودي: «تلك هي الأسطورة الأولى

[5]- كلود ليفي سترواس، العرق والتاريخ، ترجمة سليم حداد، بيروت لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص 13

[6]- أرسطو طاليس، السياسة، ترجمة أحمد لطفي السيد، القاهرة مصر، الهيئة المصرية لكتاب، 1979، ص 254، 255.

لنزعة أوروبا المركزية التي يحسن تبديدها كما لو كانت حلماً كاذباً»^[1].

هذه الأسطورة قد غذتها مراحل التطور التاريخي، في عصر الأنوار والنهضة، إذ تمت المصادقة لتمكين فكرة المركزية الغربية، وجعلها الروح التي تنطلق منها الحضارة الأوربية في العصر الحديث، فلو تأملنا في كيفية تشكل الوعي الأوربي وتاريخه، كانت أسطورة المركزية من أهم الأساطير المؤسسة له، والتي كان لها تأثير مباشر لاني نشأة الحركات القومية فيما بعد "إعادة قراءة التاريخ من خارج إحدائيات الغربية ستضعه في سياق آخر يختلف تماما في حركة صعوده ونزوله عن شكله الراهن، فأسطورة العصور المظلمة تماما التي تعدها القراءة الغربية للتاريخ حالة إنسانية سبقت بإطلاق مجيء عصر الأنوار ليست في الحقيقة إلا لياً لعنق التاريخ، وتضييقاً في أفقه لإجباره على الدخول من بوابة المركزية الأوروبية»^[2].

لقد كان موقف روجيه جارودي من قضية المركزية الغربية منتقداً لها ذلك أنها أحد الأسباب التي أدت إلى بروز معظم الأزمات في الحقل الفكري للحدائثة الغربية، فهو أولاً يبتدئ بنقد كلمة الغرب، فلا يراها ماهية جغرافية بل هي تعني عبارة عن "حالة فكرية متجهة نحو السيطرة على الطبيعة والناس"^[3]، هذا الغرب يراه جارودي مجرد مصطلح مآله إلى الزوال، لأنه لم يستوجب موجبات البقاء، لأنهم أرجعوا كل شيء إلى ذاتية الفرد لذا يرى أن «الغرب عارض طارىء... ذلك هو الطراز الذي ألفه الغربيون باعتبارهم أن الفرد مركز الأشياء كلها ومقياسها»^[4].

فكلمة الغرب حسب جارودي كلمة لها حمولة كبيرة، فضلاً على أنه لا يجذب هذه الكلمة، بسبب تلك الحمولة السلبية التي تدل عليها في الخارج، إذ يقول «إن كلمة الغرب كلمة رهيبية... إنني لا أحب لفظة الغرب، وقد حملوها عدداً كبيراً من التعريفات التي خدمت قضايا مشبوهة في تقسيم العالم، ويؤكد بول فاليري أن أوروبا وليدة تقاليد ثلاثة: - في مجال الأخلاقي: المسيحية، وبوجه أدق، الكاثوليكية. - في مضممار الحقوق والسياسة والدولة: تأثير موصول للقانون الروماني - في حقل الفكر والفنون: التقليد الإغريقي»^[5]، فهذه الكلمة يقبع خلفها نموذج معرفي وضحه وبينه في النقاط الثلاث والتي من خلالها تشكل رؤية إلى العالم، فالكلمة غير بريئة،

[1]- روجيه جارودي، وعود الإسلام، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الرقي، بيروت لبنان، ط2، 1985، ص 108.
 [2]- عز الدين عبد المولى، في الرؤية الغربية لتاريخ الحدائثة، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الأولى، العدد 04، أبريل 1996، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص 132.
 [3]- روجيه جارودي، حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، بيروت لبنان، عويدات للنشر والطباعة، ص 18.
 [4]- المصدر السابق، ص 9.
 [5]- المصدر نفسه، ص 17.

إنها ذات بعد إيديولوجي كامن في ذاتها.

وقد ركز جارودي في نقده المركزية الغربية على النقاط الآتية:

أولاً: الحمولة المرجعية لعالم الأفكار التي شكلت الغرب الطارى:

لقد كانت النواة الأولى مع الفكر اليوناني فقد بدأت نقطة الانفصال «مع سقراط وأرسطو، مؤسسي فلسفة الذات»^[1]، إذ ركزت هذه الفلسفة على مركزية الإنسان في الوجود فمن تلك المرحلة، «أصبح كل شيء مركزاً على الإنسان ومنطقه الوحيد، حيث إن الأخلاق لم تكن بالنسبة لسقراط إلا جزءاً من المنطق، أما الطبيعة فلقد تركت لأعمال الدنيا التي يقوم بها العبيد أو الفعلة... مثل أرسطو حيث التأمل يلعب دوراً يقوم من خلاله بتوسيع الساحة التي خصصها للتقسيم الطبقي»^[2]، هذا الأمر الذي يقود بالضرورة إلى تمركز الإنسان حول ذاته نتيجة هذه الفلسفة، مما أدى إلى انفصال الإنسان عن المتعالي وعن العالم الطبيعي، حتى إنه قد انفصل على العالم الإنساني أيضاً «فمن كان غير إغريقي، أي لا يتحدث اللغة، تعد كلماته مجرد تهتهة لا آدمية، ويعد همجياً»^[3].

هكذا انتقد جارودي الحضارة اليونانية، وما احتوته من أفكار أسهمت فيما تعيشه الحضارة الغربية، كما رفض جارودي فكرة المعجزة اليونانية، التي تجعل من اليونان مهد الحضارة الإنسانية كلها، كما تبعتها في ذلك الحضارة الرومانية التي كانت امتداداً وتقليداً للحضارة السابقة، فثقافة الغرب قد «بترت من أبعاد جوهرية، فمنذ قرون ادعت هذه الثقافة بأنها تتحدر ومن إرث مزدوج: يوناني - روماني، ويهودي - مسيحي، لقد انبثقت أسطورة المعجزة الإغريقية لأن هذه الحضارة بترت عمداً عن جذورها الشرقية، عن تراث آسيا الصغرى، عن أيونا تلك، إحدى مقاطعات لفرس حيث رأى النور أعظم الملهمين، من طالس إلى كزنيوفون دي كولوفون ومن فيثاغورس... فاحت من خلالهم نسائم إيران زرادشت فيما وراءها»^[4]، وهذا أكبر شاهد للتحيز، والتمركز حول الذات الغربية بأن نسبوا تلك العلوم كلها إلى اليونان وهذا ما دونته صحة صيحة نيتشه حسب جارودي، فقد «استطاع نيتشه أن يكتب بمنطق ويقول إن الانحطاط بدأ مع سقراط؛ لأن معه بدأ انفصال الغرب عن آسيا»^[5].

[1]- روجيه جارودي، كيف صنعنا القرن العشرين، ترجمة ليلي حافظ، دار الشروق، مصر، ط2، 2001، ص 35.

[2]- المصدر نفسه، ص 37.

[3]- المصدر نفسه، صفحة نفسها.

[4]- روجيه جارودي، وعود الإسلام، ص 15.

[5]- روجيه جارودي، كيف صنعنا القرن العشرين، مصدر سابق، ص 37.

ثانياً: الحمولة المرجعية الدينية التي شكلت الغرب الطارئ:

- أما بالنسبة للانفصال الثاني فإنه يمكن في الفكر اليهودي - المسيحي، إذ استلهمت الحضارة الغربية ديانتها من الديانتين: اليهودية والمسيحية، وليست منشأهما هو أوروبا، بل إن اليهودية والمسيحية لم «تأتيا من أوروبا، القارة الوحيدة التي لم يوجد فيها أبداً دين عظيم، وإنما آسيا، والتي تطورت بادية ذي بدء في أنطاكية أعني في آسيا وفي الإسكندرية أعني إفريقيا»^[1].

وكتاب التوراة كتب على أرض الكنعانيين بفلسطين كما فصل ذلك روجيه جارودي في كتابه فلسطين أرض الرسالات السماوية^[2].

- فاليهودية والمسيحية قد تم الجمع بينهما، في العهد القديم والعهد الجديد مع بولس، «ومع أن بولس حريص على أن يجعل من يسوع، خلافاً للسنن التقليدية اليهودية، الفصل النهائي في العهد القديم، وإتماماً للمواعيد التي وعدت بها إسرائيل، فإن من اليسير إظهار أن الإنجيليين قد قرؤوا العهد القديم قراءة انتقائية»^[3].

- كما أمكن لبولس استعادة الفكرة «الملعونة للشعب المختار، كان هناك في الماضي الجويم أي غير اليهود، ولكن بعد ذلك أصبح هناك الوثنيون والكافرون الذين يجب دعوتهم إلى الدين المسيحي، أي استعمارهم روحياً... هذا الخليط من اليهودية والهيلينية أسفر عن تعميق الانكسار الإنساني»^[4].

- ومن هنا يسائل جارودي الحضارة الغربية المتمركزة في نزعتها الغربية، حول ماضيها في حملتها المرجعية الدينية التي شكلت الغرب الطارئ، فيقول: «هل يكون من الضروري للعظمة أن يكون المرء ابن لأب مجهول؟ فلماذا إزالة آثار ما ولد وغذى حضارتنا؟ فهل نستسلم لتصرف هؤلاء الكتاب الرديئين الذين أرادوا أن يقنعوا أنفسهم بـ «أصالتهم»^[5].

ثالثاً: الحمولة المرجعية العرقية التي شكلت الغرب الطارئ:

- أول فكرة كانت قد مهدت لذلك النموذج العرقي الأول، والذي منه تولدت التصورات العرقية

-
- [1]- روجيه جارودي، وعود الإسلام، مصدر سابق، ص 16.
 [2]- روجيه جارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة قصي أناسي، ميشيل واكيم، دمشق سوريا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1991، ص 78، 79، 80، 81.
 [3]- روجيه جارودي، نحو حرب دينية جدل العصر، ترجمة صياح الجهم، بيروت لبنان دار عطية للطباعة والنشر، ط2، 1997، ص 170.
 [4]- روجيه جارودي، كيف صنعنا القرن العشرين، مصدر سابق، ص 39.
 [5]- روجيه جارودي، وعود الإسلام، مصدر سابق، ص 16.

جميعها في العالم الغربي كانت البداية مع فكرة شعب الله المختار، إنها «منطق الإيمان الذي، انتزعه الله من حمأة الشعوب الأخرى»^[1] وقد كان مصدر وضع هذه الأسطورة في «مصدر الاشترع التثنية... صيغة مذهبية جديدة لكل التعاليم السابقة، وتدور الفكرة الرئيسة فيه حول تسمية إسرائيل بشعب الله المختار المرتبط مع الله بالعهد... وهكذا أصبح سفر اشترع التثنية رداً على هيمنة الآشوريين، فالحاكم الوحيد الحقيقي لإسرائيل هو يهوه وليس ملك آشور»^[2].

- هذه الرؤية هي التي تشكلت منها النزعات والتفسيرات العرقية الأنثروبولوجية - التي أشرنا إليها سابقاً، والتي كانت تمهيداً في ما بعد لانطلاق شرارة الاستعمار في العالم، بها أصبحت «أمريكا قائدة لدول التمرکز الغربي ووريثة لجميع الاستعماريين في الشرق والغرب»^[3].

- إن التاريخ المعاصر لشاهد على تلك الممارسات الاستعمارية التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية^[4]، وكانت تحت ذرائع متعددة «وما درجنا على تسميته اكتشاف أمريكا، وتصفه اليونيسكو على استحياء بالتقاء الثقافات، ويحتفل به البابا جون الثاني بزهو كأنه تبشير بالإنجيل للعالم الجديد هو في عام 1992 الاحتفال بمذابح الهنود، وبداية العهد الاستعماري في التاريخ الحديث... وكشف تدمير العراق في عام 1992 عن حرب من نوع جديد حرب قائمة ليس فقط على استعمار دول أوروبية متنافسة، مثل ماكان من إنجلترا وفرنسا، لكن على استعمار جماعي متعدد الجنسيات متآلف تحت سيطرة الأقوى: الولايات المتحدة»^[5]، هذا التوجه للهيمنة والسيطرة لا زال إلى اليوم، إذ تعد أمريكا من أكبر الدول المصنعة للسلاح وتعدّ «الأساس المتين للازدهار الاقتصادي في الولايات المتحدة، وذلك من خلال الحصول على دعم حكومي وتمويل من الدولة، وإجراء أبحاث وتطوير من أجل مصانع الحرب»^[6]، ذلك كله من أجل تكريس منطق الهيمنة والصراع في العالم، فلهم حق سيادة الرجل الأبيض.

[1]- روجيه جارودي، الاستعمار الثقافي، والصهيونية، والتمسك بالأسطورة بدلاً من سرد الحقائق في تدريس التاريخ، ترجمة هشام حداد، سوريا، مجلة الآداب الأجنبية، العدد 108، أكتوبر 2001، ص 13.

[2]- روجيه جارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص 80، 81.

[3]- عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان، مرجع سابق، ص 25.

[4]- هو ما سمي من قبل «العالم الجديد، نتيجة لأن السياسة الاستعمارية تجاهلت ودمرت الحضارات العبقريّة التي عاشت في ذات المكان منذ آلاف السنين وانتشر أبنائها وثقافتها في القارة كلها " روجيه جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الأمريكية، ترجمة ليلي حافظ، ضمن كتاب الإمبراطورية الأمريكية، صفحات من الماضي والحاضر، مجموعة من المؤلفين، القاهرة مصر، مكتبة الشروق، ط1، 2001، ص 165.

[5]- روجيه جارودي، حفار القبور، مصدر سابق، ص 6.

[6]- روجيه جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الأمريكية، مصدر سابق، ص 168.

ثانياً/ النزعة الأصولية^[1] الغربية:

- كنا قد تحدثنا في النقطة السابقة حول نقطة التمرکز الغربية، وانتهى بنا الحديث حول التمرکز العرقي الغربي، وكان أصل تلك الأفكار فكرة شعب الله المختار، التي يمكن عدّها الفكرة الدينية المغذية لروح العرقية، لكن الذي نود الإشارة إليه ههنا هو الأصولية الغربية التي ولدتها الحداثة، لا الأصولية الدينية في حد ذاتها.

- لقد كانت النهضة الصناعية في أوروبا بداية نشوء الفعلي للأصوليات الغربية، التي كانت شرارتها الأولى هي فكرة القومية^[2] ف «تتسق القومية تماماً مع وقائع التنظيم الاقتصادي للثورة الصناعية في مرحلتها المبكرة والمتوسطة»^[3].

- كما تغذت النزعة القومية على أفكار التنوير، والسعي للتوسع الاستعماري للسيطرة على مزيد من الموارد الطبيعية، ويمكن عدّ النزعة القومية نتيجة «لأفكار التنوير وتفاعلها مع جماع العلاقات الإنسانية التي نسميها الثورة الفرنسية، وربما يمكن القول بعبارة مفردة في التجريد، إن أفكاراً عن السيادة الشعبية والديمقراطية والإرادة العامة حسب المعنى الذي قصد إليه روسو، قد تحولت إلى واقع سياسي كتبرير للدولة القومية ذات السيادة»^[4]. وعليه يمكن القول إن بدايات تشكل النزعة الأصولية الغربية التي ولدتها الحداثة، كانت مع ظهور الدول القومية، والتسابق المحموم نحو الظفر بالمستعمرات وتحقيق المزيد من السيطرة على العالم، فكانت كل دولة تتشكل لتتغذى على الروح

[1]- «أصولية fundamentalism, fondamentalisme ou Inégrisme، لغة «من أصول وهذه ترجمة للفظة Fundamentals وهي لفظة إنجليزية مشتقة من لفظة أخرى هي Fondation بمعنى أساس، وأغلب الظن أن الذي سلك المصطلح Fundamentalism هو رئيس تحرير مجلة أمريكية اسمها New York Fodation - Examiner في افتتاحية عدد يوليو 1920 إذ عرف الأصوليين بأنهم أولئك الذين يناضلون بإخلاص من أجل الأصول، وأغلب الظن كذلك أن التي مهدت لسك هذا المصطلح سلسلة كتيبات صدرت في المرحلة من 1909 إلى 1915 بعنوان الأصول بلغت اثني عشر كتيباً «مراد وهبة، المعجم الفلسفي، مصر القاهرة، دار قباء الحديثة، 2007، ص 71.

جاء تعريف الأصولية في الموسوعة العربية العالمية أنها عبارة عن: «اتجاه فكري اعتقادي يدعو إلى العودة إلى الأصول أو الأسس لدين أو مذهب معين تخلصاً من بعض المعتقدات أو أنواع السلوك الذي استحدث في ذلك الدين أو المذهب، لا يكاد يخلو دين من الأديان الرئيسة أو مذاهبها أو التيارات الفكرية وغير الفكرية من نوع من أنواع الأصولية... غير أن مفهوم الأصولية تطور في الثقافة الغربية نسبة إلى حركة واسعة داخل المذهب البروتستانتي النصراني، وتحاول المحافظة على ما تراه الأفكار الأساسية للنصرانية ضد نقد اللاهوتيين الأحرار... وبين عامي 1910 و1915 نشر مؤلفون مجهولون 12 كتيباً بعنوان الأصول، وأخذت الأصولية اسمها من هذه الكتيبات، وحاول المؤلفون تفنيد المبادئ الأساسية للنصرانية التي يجب التسليم بها من دون تشكيك» الموسوعة العربية العالمية، الرياض، الملكة العربية السعودية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، 1999، ج2، ص 259.

[2]- القومية «ترتبط الأمم - القومية بظهور القوميات التي يمكن تعريفها بوصفها منظومة من الرموز والمبادئ التي تضفي على الفرد الإحساس بأنه جزء من جماعة سياسية واحدة، وتوضح القومية في أجلي مظاهرها عند بناء الدولة الحديثة «أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، بيروت لبنان، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2005، ص 468.

[3]- كرين برينتون، تشكيل العقل الحديث، ترجمة شوقي جلال، الكويت، مجلس الثقافة والنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة عدد 82، ص 214.

[4]- المرجع نفسه، ص 212.

القومية التي تعدّ بمنزلة لضمان الوحيد للاستمرارية وإقناع جماهير الشعوب التي ما كانت لتألف هذا النوع من التصور للدويلات الحديثة، ذلك «أنها من أهم العوامل التي تؤسس الأمم»^[1].

- وعليه يمكن عدّ القومية إحدى الركائز الأساسية للأصولية الغربية، ومنها انطلقت جميع النزعات والمذاهب والإيديولوجيات الأصولية في التاريخ المعاصر، فقد اتخذ الألمان والإيطاليون من المذهب النازي والفاشي ركائز فكرية لتحقيق غايات قومية، وعندما اندلعت الثورة الفرنسية واتخذت مبدأ الحرية والمساواة استخدمتها كأداة لقوميتها من أجل السيطرة على أوروبا والعالم، وفي روسيا عندما اندلعت الثورة الفرنسية البلشفية اعتنقت روسيا المذهب الاشتراكي واتخذت منه أداة للسيطرة على الجمهوريات السوفيتية وفرض سيطرتها على أوروبا الشرقية من خلال هذه الصبغة القومية^[2].

- أما بالنسبة للأصولية عند جارودي، فبعد أن عرض أهم التعريفات لها في المعاجم، كمعجم رويبر، ولاروس والموسوعة العالمية، قام بتلخيص تلك التعريفات ووصل إلى تحديد أهم المكونات الأصولية إذ يقول: «أولاً: الجمودية؛ رفض التكيف، جمود معارض لكل نمو، لكل تطور، ثانياً: العودة إلى الماضي، الانتساب إلى التراث، المحافظة، ثالثاً: عدم التسامح، الانغلاق، التحجر المذهبي: تصلب، كفاح، عناد... وهي تقوم على معتقد ديني أو سياسي مع الشكل الثقافي أو المؤسسي الذي تمكنت من ارتدائه في عصر سابق من تاريخها وهكذا تعتقد أنها تمتلك حقيقة مطلقة وأنها تفرضها»^[3].

فالنزعة الأصولية^[4] بذلك لا تحتكم إلا إلى التصورات الماضية، المنغلقة وتنطلق منها لتستعملها براديعم لتفسر بها حاضرها ومستقبلها، وترفض نزعة تجديدية خارج ذلك الماضي، تلك النزعة المحاطة بالسياج الدوغمائي الذي ينمط جميع التصورات وفق تصوره الذي يأبى أن تكون الحقيقة خارج تصوره، وهم أصحاب «الأفهام الحرفية، يجهلون كل شيء عن الحركة الحقيقية

[1]- نبيلة داود، الموسوعة السياسية المعاصرة، مصر، دار الغرب للطباعة والنشر، 1995، ص 37.

[2]- المرجع نفسه، ص 37، 38.

[3]- روجيه غارودي، الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، باريس فرنسا، دار عام ألفين، ط1، 2000، ص 11، 13.

[4]- عدد المستشرق الألماني فريتش شيبات اتجاهات متعددة من الأصوليات وهي الآتي: (أ) الشمولية: وهي مفهوم مأخوذ عن الكاثوليكية، وتعبّر عن وجهة النظر التي تقول إن جميع الأسئلة التي تقدمها الحياة الخاصة والعامة تتوافر الإجابات عنها في العقيدة أو بالأحرى في تعاليم الدين أو الأيديولوجية، (ب) النصومية: أي الرأي القائل إن النصوص المقدسة ينبغي ألا تمس، وينبغي أن تفهم حرفياً أو لفظياً، (ج) الإنحياز المطلق: أي رفض أي مناقشة للمبادئ التي يعتنقها الأصولي والتعصب تجاه أي وجهة نظر أخرى مخالفة «فريتش شيبات، الإسلام شريكا، دراسات عن الإسلام والمسلمين، ترجمة عبد الغفار مكاوي، الكويت، عالم المعرفة عدد 30280، ص 79، هذه الأوصاف التي عدّها المستشرق فريتش شيبات خاصة إلى حد كبير بالأصولية الإسلامية، ولا يمنع في بعض هذه الاتجاهات أن تشارك فيها بعض الأصوليات الغربية وكذا الصهيونية.

للعالم والذي هو خلق إلهي متجدد، إنهم يدعون امتلاك أجوبة لجميع مشكلات عصرنا»^[1]، وهو ما يطلق عليه النزعة التمامية، التي تدعي أن كل شيء يتم تفسيره وفق ذلك الأنموذج السائد، وأن العالم قد تمت عملية تأويله، فلامجال لفهم أو تأويل آخر.

- ويرى جارودي الأصولية الغربية بأنها جماع الأصوليات كلها التي انبثقت في العالم، «فالأصولية الغربية هي العلة الأولى، ثم ولدت كل الأصوليات الأخرى ردا على أصولية الغرب»^[2]، والسبب في ذلك أن «الغرب منذ عصر النهضة، فرض نموذجه الإنمائي والثقافي»^[3]، فثقافة الغرب تدعي أن نموذجهما هو الأكمل والإنساني الذي لا بد من أن يسود العالم، وما النماذج الثقافية الأخرى إلا نماذج قاصرة وغير علمية، وبذلك أصبحت الأصولية هي «الخطر الأكبر على عصرنا، حيث لا يمكن حل أية مشكلة انطلاقاً من مجتمع حزني واستناداً إلى معتقداته الجامدة»^[4].

- لقد عدد روجيه جارودي أنواعاً متعددة من الأصوليات، والذي نود الإشارة إليه هو الأصوليات التي دشتتها الحداثة الغربية، خاصة الأصولية العلماوية، والأصولية الستالينية، والأصولية الأمريكية، لأن سائر الأصوليات كانت نشأتها دينية، الأصولية اليهودية، والأصولية الفاتيكانية، والأصولية الإسلامية، هذه الأخيرة التي جاءت رد فعل على الأصولية الغربية الإستعمارية، كما أشرنا سابقاً. أما الأصوليات التي ولدتها الحداثة الغربية فهي الآتي:

1/ الأصولية العلماوية:

- يمكن عدّ الأصولية العلماوية هي تلك التي «تجعل من العلم معتقداً متحجراً (دوغما)، فالأراء العلمية التي تقرها المدرسة سيتعين أن ترتدي لاحقاً الأشكال التي تجعلها مقدسة»^[5] ويعد أوجيست كونت هو الأب الروحي لهذه الأصولية، الذي حول تصور العالم وفق نموذجه التفسيري الأخير وهي مرحلة العلم، وهو البراديغم الذي أعطاه المقدره الكاملة لتفسير كل شيء من خلاله، وبالتالي إقصاء جميع النماذج التفسيرية الأخرى، «إذ يبدأ التاريخ عنده بالحقبة الأسطورية الغيبية، ومنها إلى الحقبة الميتافيزيقية، لينتهي المطاف عند ما أسماه بالحقبة الوضعية العلمية المتطابقة مع نظرة علمانية دهرية تقطع جملة مع التصورات الأسطورية والإحالات الدينية المتعالية»^[6].

[1]- روجيه جارودي، تقديم لكتاب المشكلة الدينية، محسن الملي، دمشق سوريا، دار قتيبة، ط1، 1993، ص9.

[2]- روجيه جارودي، الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، مصدر سابق، ص12.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- المصدر نفسه، ص12.

[5]- روجيه جارودي، الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، مصدر سابق، ص18.

[6]- رفيق عبد السلام، آراء جديدة في العلمانية والدين والديمقراطية، بيروت لبنان، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2007، ص25.

2/ الأصولية الستالينية:

- تنسب هذه الأصولية إلى جوزيف ستالين^[1]، الذي كان من طبقة البروليتاريا، ليجد نفسه في سدة الحكم، إذ تبنى التصور الماركسي في بناء الدولة السوفيتية، ولكن هذه الماركسية هي ماركسية ستالين وفق تأويله وفهمه لها، وعلى هذا الأساس «فقد تحولت الماركسية من فلسفة تبصر الإنسان بإمكانياته الخلاقة وتدفعه إلى الأخذ بزمام الصيرورة التاريخية، إلى عقيدة دوغمائية وممارسة كليانية وجرائم لا إنسانية... فقد تحول ستالين بفعل السلطة التي كان يمارسها إلى آكل بشر وكان يعتقد أنه هو الثورة وأنه هو الاشتراكية»^[2].

- ويرى جارودي أن فكر ماركس هو فكر فلسفي نقدي، هذه «الفلسفة النقدية هي استيفاء لكون كل ما نقوله عن الطبيعة، عن التاريخ أو عن الله، إنما يقوله الإنسان، وهي ومن ثم تأكيد ظرفي، متناسب مع معارفنا ومع تجاربنا الآتية، في هذا المعنى، وفي هذا المعنى فقط، كان ماركس يعلن أن اشتراكيته علمية»^[3].

- على عكس ما تقرره كل مذهبية وأصولية. وسبب الانحراف الذي أصاب الماركسية بسبب الاعتقاد في علمية النموذج التفسيري بالتصور الوضعي القادر أن يفسر كل شيء، هذا الاعتقاد قاد الغرب إلى الانتحار، إذ إن ورثة ماركس هم الذي انطلق عليهم هذا التوجه «مصطلح علمي جرى استعماله في معنى الوضعية، أي في معنى هذا الادعاء لبلوغ حقيقة نهائية من خلال حصر المعرفة الإنسانية وتاريخه وابتكاراته... فالمذهبية تقوم على وهم أو على زعم الاستقرار في الكائن وإعلان حقيقته المطلقة... تعتبر أن بيئة العالم شاملة وخالدة في هذه الحقبة أو تلك من حقبات تاريخه»^[4].

- يبدو أن جارودي جد حائق على ستالين، إذ جعل اصطلاح الأصولية على اسم ستالين، ذلك أن الانحراف الأكبر للماركسية كان على يده، بدل أن تسير في الخط الذي وضعه ماركس، للقاء

[1]- ستالين جوزيف 1879-1953 رئيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية السابق من عام 1929 وحتى 1953، صعد من حالة الفقر المدقع إلى حاكم البلاد تغطي مساحتها سدس مساحة العالم، حكم ستالين حكماً دكتاتورياً خلال معظم سنوات حكمه، وأعدم وسجن معظم الذين ساعدوه في الوصول إلى سدة الحكم، لخشيته من أن يكونوا مصدر تهديد لحكمه، وكان مسؤولاً أيضاً عن موت كثير من الفلاحين السوفيت الذين عارضوا برنامج الزراعة التعاونية عمال المزارع السوفيت كانوا يعملون في مزارع تديرها الدولة بعد أن أبطل ستالين الملكية الخاصة للمزارع في عام 1929، توفي سنة 5 مارس 1953 الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ج12، ص 152، 153

[2]- روجيه جارودي، في حوار له مجلة «حدث الخميس L'Evenement du Jeudi» بتاريخ 30 مارس إلى 5 أبريل 1989، ضمن كتاب، محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص28.

[3]- روجيه جارودي، الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، مصدر سابق، ص26.

[4]- المصدر نفسه، ص 25، 26

على الظلم، والاستغلال الطبقي الذي كرسته الرأسمالية فقد قام ستالين حيث بتحول نظام الحزب الشيوعي، وغير بنية التركيب للحزب، وتصرف تصرف الدكتاتور «فاستغل منصبه في تعيين أتباعه في المراكز الهامة لكي يضمن الأغلبية لنفسه في مؤتمرات الحزب... وقد تأمر في البداية مع بعض زملائه لكي يبعد تروتسكي عن خلافة لينين... ثم تأمر مع الآخرين وقضى على حلفائه الأولين، وجعل جميع قرارات المكتب السياسي يجب أن تكون بالإجماع، ثم أعلن بعد ذلك خطة السنوات الخمس، التي تكفلت بفرض الزراعة الجماعية، ونفذت الخطة بكل وسيلة من وسائل الإرغام ومات في سبيل ذلك الملايين، وزج بغيرهم من الملايين في معسكرات التي أقيمت في المناطق المهجورة بشمال روسيا»^[1].

بهذا التصور تحولت الفلسفة النقدية الماركسية، من فلسفة إنسانية في بعض أبعادها، إلى أصولية ستالينية دوغمائية دموية، متنكرة للمبادئ التي نادى بها في أول نشأتها حيث يقول جارودي إن، «هذا التحريف الأصولي حول ماركسية ماركس إلى عكسها»^[2].

3 / الأصولية الأمريكية:

- أما بالنسبة للأصولية الأمريكية فقد أفرد لها جارودي مؤلفاً خاصاً بعنوان: الولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانحطاط، عام 1997، (Les États-Unis avant-garde de la decadence)، إذ تناول في هذا الكتاب التركيز على نقد المشروع الأمريكي في العالم، من خلال سياساتها العالمية، إذ يرى جارودي أمريكا عبارة عن «منظمة إنتاج تديرها المنطقية التقنية أو التجارية فقط، حيث يسهم كل فرد كمنتج أو مستهلك، متطوعاً إلى هدف وحيد، وهو الزيادة الكمية لرفاهه، وكل شخصية ثقافية أو روحية أو دينية، تعد قضية خاصة، فردية لا علاقة لها في تشغيل النظام»^[3].

- فإذا كانت كذلك، فإن المنطق الذي يحكمها هو معيار التحقق المادي، والبحث على طريقه ووسائله التي تؤدي إلى الرفاه تلك الديانة التي صارت رائجة في المنطق العالمي الجديد.

فالأصولية الأمريكية حسب جارودي، قائمة على فكرة الهيمنة والاستغلال الذي بدأ مع «تاريخ الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر هو أولاً تاريخ إبادة الهنود الحمر... وهو أيضاً تاريخ استغلال العبيد السود، خاصة في زراعة القطن»^[4].

[1]- أدريين كوخ، آراء فلسفية في أزمة العصر، مصر القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1963، ص 25.

[2]- روجيه جارودي، الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، مصدر سابق، ص 35.

[3]- روجيه جارودي، الولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانحطاط، مصدر سابق، ص 29.

[4]- المصدر نفسه، ص 33، 34.

- أما تاريخ السيطرة والهيمنة الحقيقي، وتمكّن الأصولية الأمريكية من بسط نفوذها على العالم فقد كان «عام 1992 كان عام قمة الهيمنة للولايات المتحدة الأمريكية... هذا المنعطف التاريخي الذي وجدنا أنفسنا فيه عام 1992»^[1]، إذ بدأت أمريكا تنميط العالم على النمط الاقتصادي، أحادية السوق النظام الديمقراطي، واستعملت في ذلك القوة العسكرية والاقتصادية، حيث عبرت الأمركة عن قمة أصوليتها في شكلها الحقيقي، إذ تم التخطيط لهذا المنعطف بمد نفوذ السوق منظماً وحيداً للعلاقات الإنسانية على الصعيد العالمي، عن طريق الاستعمار الذي قام في البداية بجعل الدول المحتلة، مجرد روافد لاقتصاد الدول الاستعمارية^[2]. فقد بدأت الهجمة على العراق «الأمر يتعلق بإعطاء درس وعبرة، يبين للعالم الثالث بكامله، أن من غير المسموح لأي شعب... أن يرتفع إلى أعلى مستوى من التقنية، واستثمار ثرواته الوطنية (وفي الحالة الراهنة: البترول)، من دون مراقبة أسعاره من قبل الدول الاقتصادية الكبرى، أو أن يتعد عن الدين الذي لا يجرؤ على الإعلان عن اسمه، ولكن الولايات المتحدة تفرضه على العالم وهو وحدانية السوق وعبادة المال»^[3]، إنه نموذج الأصولية في طورها المتقدم والمعاصر وهو منهج للجنون، بمعزل عن المعارضة المبدئية لتنمية العالم الثالث خارج سيطرة الولايات المتحدة، يظل ضرورياً أن تفهم الشعوب المقهورة أن عليها ألا تتجرأ على رفع رؤوسها في حضرة السادة، أما إن فعلت، فهي لن تدمر باستخدام العنف المتفوق تفوقاً ساحقاً فحسب، بل إنها ستستمر بالمعاناة طالما نجد ذلك محققاً لمصالحنا... هذا النموذج كما في العراق»^[4].

- والنتيجة التي يصل إليها جارودي بعد بحثه في دراسة الأصوليات الكثيرة والمتنوعة، في العالم، فهو يحمل النتيجة ونشأة الأصوليات للغرب الطارىء، الذي أسهم بشكل مباشر أو غير مباشر في صناعة تلك الأصوليات، يقول جارودي «جميع الأصوليات (بعنفها وسلفيتها) هي ردود أفعال على أصوليات الغرب لتدافع عن هويتها، ورد الفعل هذا هو في الغالب ارتداد إلى الماضي ويتعلق به لأنه يحلم بالعصر ذهبي في مواجهة الغزو الثقافي، عصر ذهبي سبق هذا الاعتداء، وقلما يفضي إلى مشروع مستقبلي حقيقي»^[5].

[1]- روجيه جارودي، حفاروالقبور، ص 8، 9.

[2]- المصدر نفسه، ص 9.

[3]- روجيه جارودي، الولايات المتحدة الأمريكية طبيعة الانحطاط، ترجمة صباح الجيهم، ميشيل خوري، دار عطية للنشر، بيروت لبنان، ط2، 1999، ص 29.

[4]- نعيم تشومسكي، سنة 501، الغزو مستمر، ترجمة مي نيهان، دمشق سوريا، دار المدى للثقافة والنشر، 1996، ص 435.

[5]- روجيه جارودي، الولايات المتحدة الأمريكية طبيعة الانحطاط، مصدر سابق، ص 123.

خاتمة:

ما نخلص إليه أن الحضارة الغربية، كانت قد انطلقت من أفكار أسهمت في تشكيلها وحددت رؤيتها المسبقة إلى العالم، خاصة فكرة التمرکز حول الذات، هذه الأخيرة التي انبثقت منها جميع صنوف الإيديولوجيات المختلفة، حيث قامت هذه الأخيرة بتفعيل فكرة الصراع في العالم، وقد حددت الإطار الذي سيتموضع فيه الغرب تجاه الآخر، ليست الآخر هو الجحيم فقط، بل الآخر الذي لا يحق له إلا ان يكون تابعاً للنسق الذي قد رسم.

تعدّ نزعة التمرکز حول الذات ورفض الحضارة الغربية ومصالحها على جميع مجالات الحياة على حساب باقي الثقافات، من أبرز تجليات أزمة القيم الحداثية: فراغ العالم من المعنى منها، وسيتم تقديس كل ما هو غربي، يعدّ مركزاً والباقي هو الهامش، وعليه سيتم سحق جميع من يخالف هذا التصور، وهذا ما تم بالفعل، ففلسفة الأنوار الغربية، قامت بسحق حضارات إنسانية، كان من الممكن أن تفيدها منها الإنسانية في جوانب متعددة، كالحضارة الهندية والحضارات التي همشت كالحضارات الشرقية.

إن ما قدمه روجيه جارودي حول نوابت الأصولية الغربية ونقده لها، هي لفظة للمراجعة، فما العنف الذي نراه في العالم ما هو إلا نتيجة لمثل هذه الفلسفة، خاصة إذا عرفنا أن لكل فعل رد فعل مساوياً له في المقدار ومضاداً له في الاتجاه.

فالبدائل الفكرية تجاه هذه القضية لا تكمن إلا في محاولة مراجعة الذات والتخلص من النظرة الاستعلائية، ودمج الذات في النسق الإنساني الذي يقوم على التعارف والتواصل لتحقيق إيتيقا الاعتراف والتعاون الإنساني في العالم الذي مزقته الحروب والصراعات من أجل طغيان الأنا المتعالية.